كلمة أخيرة

ماذا يجب أن نفعل؟

❐ المهمة العاجلة هي العمل على تغيير «ماكينة التفكير» عند الناس؛ لأن بنية العقل المسلم المعاصر تنطوي على إشكاليات ضخمة تجعله بعيدًا عن طرق التفكير الصحيحة سواء في العلم أو الدين أو الحياة اليومية. والمسألة هنا لا تتعلق فقط بالعلم وطرق إنتاجه، بل تتعلق بضرورة تغيير «طرق تفكير الناس» في الحياة اليومية وفي العمل والمجتمع والسياسة، ومن ثم يجب فض الانفصام بين العلم الذي يُدرس في الكتب وطرق تفكير رجل الشارع والمشتغل بالدين أو الإعلام أو غيره من منابر الرأي والتعليم والثقافة.

❐ تجديد فهم المسلمين للدين، عن طريق ثورة في التعليم والإعلام، حتى تحل الرؤية العلمية للدين والعالم محل الرؤية اللاهوتية والسحرية القائمة على النقل والحفظ والاتباع الأعمى للذين وضعوا أنفسهم وسطاء بين الإنسان والله، وبين المسلم والقرآن، وبين الأمة ورسولها الكريم.

❐ نوعية جديدة من التعليم تقدم أسلوب حياة وطريقة عمل .. نوعية جديدة تعتمد على **التعلم بدل التعليم، والبحث بدل النقل، والحوار بدل الاستماع، والقدرة على الاختلاف بدل التسليم المطلق بالأفكار السائدة.**

❐ طـرق تدريـس جديـدة قائمـة عـلى التربيـة الحواريـة Dialogical Pedagogy، والتي تهدف إلى تخريج شـخصية حرة واعية قادرة على الحوار، وغير متعالية عليه؛ مما ينشأ عنه النمو في تكوين المواقف والآراء الجديدة.

وهذا هو مقصد باولو فريري Paulo Freire من كتابه الشـهير «التعليم من أجل الوعـي النقـدي Education for critical consciousness»؛ حيث «التعليـم الحواري» في مقابل «التعليم البنكي» الـذي يقوم فيه المعلم بإيداع المعلومات في ذهن الطالب، ومن شـأن ذلك التعليم البنكي تكريس «الوضع القائـم»... في حين ينبغي أن يكون «التعليم ممارسـة للحريـة :Education The Practice of Freedom»، وهـذا عنـوان كتـاب آخـر لباولـو فريري يؤكد فيه أن الحوار له أساس كياني يخلق إمكانية في الإنسان ليتناقش و يعيد تشكيل العناصر الحقيقية لهويته، وهكذا يساهم في تغيير العالم.

❐ التوسع في تعليم الفنون، فروح السوق والتنمية ينبغي ألا تنسينا «البعد الثالث» في الإنسـان وهو القلب بوصفه الميـدان الخصب للخيال والوجدان اللذين من دونهما لن يسـتطيع الإنسـان أن يعيش من أجل المستقبل. وتعليم الفنون وممارستها وتذوقها يقلصان قابلية العقل للإرهاب.

❐ إزاحة كل «المرجعيات الوهمية» التي تكونت في قاع تراثٍ صُنع لغير عصرنـا. ومن دون هذا لن نسـتطيع صناعة تاريخ جديـد نخرج فيه من هذه الدائرة المقيتة لكهنوت صنعه بشر بعد اكتمال الدين، وتلقفه مقلدون أصحاب عقول مغلقة ونفوس ضيقة لا تستوعب رحابة العالم ولا رحابة الدين.

❐ تكويـن «مرجعيات جديـدة» في فقه جديد، وتفسـير جديد، وعلم حديـث جديـد. ولن يحدث هذا مـن دون تعدد وتنوع مصـادر المعرفة. إن

التجديد من داخل العلوم الشرعية غير ممكن؛ لأنه سوف يجعلنا نقع في حالة من الاجترار الذاتي، وهو ما حدث بالفعل؛ فكل محاولات التجديد من الداخل لا تزال تعاني حالة اجترار؛ ومن ثم نعود دومًا إلى نقطة الصفر، ولا تزال الدائرة مغلقة. ولذا من الضروري فتح الدائرة لتسمح بالدخول لعناصر جديدة حتى تتفاعل العناصر القديمة مع العناصر الجديدة لتنتج مركبًّا جديدًا. وبلغة أخرى «إن حجرًا واحدًا لا يصنع شرارًا»!

❐ المواجهة الشاملة: فالإرهاب لا يحل فقط أمنيًّا وعسكريًّا، بل لا بد من الحل الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والسياسي. والتأكيد على أن القوة تواجه بالقوة (الإرهابي المتمترس)، والفكر يواجه بالفكر (الإرهابي الطارئ).

❐ التحول من مرحلة «الوعظ والإدهاش» إلى مرحلة «الفكر والتفكر»، ومن مرحلة التفكير بـ «السحر والمعجزات» إلى التفكير بـ «التجربة والبرهان».

❐ تكوين خطاب ديني جديد، وليس تجديد الخطاب الديني؛ لأن تجديد الخطاب الديني عملية أشبه ما تكون بترميم بناء قديم، والأجدى هو إقامة بناء جديد بمفاهيم جديدة ولغة جديدة ومفردات جديدة وتهجينها بلغة ومفردات العلوم الاجتماعية والإنسانية وفق متغيرات العصر وطبيعة التحديات التي تواجه الأمة، ونشر (وممارسة) مفاهيم التنوع والتعددية وقبول الآخر، وإعداد كوادر واعية بصحيح الدين لا فقط بدراسة العلوم الشرعية، بل بدراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية.

❐ ضبط الخريطة الإعلامية حتى يصبح الإعلام هو إعلام النقد البناء ويعكس الواقع كاملًا وليس جزءًا منه. ولا يَكتفي بنقد ما هو كائن، بل

يقدم أيضًا تصورًا علميًّا لما ينبغي أن يكون. مع ضرورة العمل على تغيير لغة الخطاب الإعلامي.

❐ إعـادة كتابة التاريخ و إبـراز تاريخ العلم والفـن والثقافة والأدب؛ فتاريخنـا المقروء هو تاريخ الحروب والغزوات فقط، بينما تاريخنا الحقيقي أوسع من ذلك بكثير.

❐ استعادة الإسلام المنسي:

- الإسـلام (قرآنًا ورسـولًا) يقدم نموذجًا إنسـانيًّا عالميًّا للدين الذي يلائم الطبيعة الإنسانية.
- يعترف بالتنوع الكوني والإنساني.
- يعتبر التعددية سنة إلهية، ويميز بوضوح بين البشري والإلهي.
- وهو في الأساس جاء رحمة للعالمين وليس لبعض المسلمين فقط.

ومن مقاصـده الكبرى تحقيق العدالة الاجتماعية والحفاظ على الأوطان ومصالح الناس .. كل الناس:

1- حياتهم. 2- عقولهم. 3- دينهم.

4- أموالهم. 5- أعراضهم.

وتسـمى هذه المصالح والحقوق الخمسة في «علم أصول الفقه» بالضروريات الخمـس، وبمقاصد الشريعة، وهي الأمور التي تظهر مـن جميع أحكام الدين في أصله النقي. ويجب توجيه الناس للتفكير فيها والتركيز عليها وعلى وسائل تحقيقها وليس على الهوامش ومظاهر التدين الزائف الذي يعيش فيه أهل عصرنا.